



إن البحث حول خصائص العالم الإسلامي وتحولاته التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وخاصة تلك التي ارتبطت بمسيرة الأحداث في القرنين الأخيرين والمصاعب المتعلقة بازدواجية الرؤية في الحضارة البرجوازية الغربية يعتبر أمراً صعباً بل ومن المستحيل إنجازه بالنسبة لباحث يعيش في إيران ويستقى معلوماته من المصادر الموجودة في المكتبات الإيرانية فقط.

ولحسن الحظ فإن الأنظار قد تحولت خلال العقود الأخيرة تجاه المتغيرات التي تحدث في منطقة الشرق الأوسط، ولكنه من الواضح أن أمامنا طريقاً طويلاً جداً حتى نصل إلى مصادر أصلية وأبحاث قائمة على أسس بحثية صحيحة حول العالم الإسلامي.

ولهذا السبب فإننا في مسيرة البحث حول الماسونية في العالم الإسلامي نجد أنفسنا مضطرين للاستفادة من المراكز البحثية العلمية في الدول الأخرى من ناحية، ومن ناحية أخرى فنحن في حاجة شديدة إلى مساعدة الأصدقاء المعنيين بمثل هذا النوع من الأبحاث، ولحسن الحظ استطعت أن أستفيد من كلا الاتجاهين.

وفي البداية أرى أنه لزاماً على أن أتوجه بشكري إلى العالم المتمتعق

السيد/ عبد الحسين حائري رئيس مكتبة مجلس الشورى الإسلامي فلولا تسهلاته ومساعداته وتحمّله للمتعاب البحثية - ذلك التحمل الذي لا يمله ولا يكله لكنت بالقطع قد واجهت مصاعب ومشاكل كثيرة في إنجاز هذا البحث الذي بين يدي القارئ، كما أتوجه بشكري أيضاً للسيد حجة الإسلام شيخ محمد مهدي خالص الذي عرفني وأرشدني إلى مصادر مفيدة كما أعارني من فضله وكرمه تلك المصادر النادرة المثل في إيران.

كما أن هناك أصدقاء وزملاء وفضلاء كثيرين قدموا لي مساعدات جمة في المراحل المختلفة التي مر بها هذا البحث أذكرهم هنا وأتوجه بشكري لهم جميعاً.

١- السيد/ فرج الله أحمدى

طالب الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة مشهد.

٢- السيد الدكتور/ يان ريتشارد (Yann Richard)

عضو المركز القومي للبحوث العلمية (C.N.R.S) في باريس

٣- السيد/ منصور صفت كل

طالب بقسم التاريخ بجامعة مشهد

٤- السيد الدكتور/ مسعود فرنود

عضو هيئة التدريس بجامعة مشهد

٥- السيد الدكتور/ أحمد محامدى

خبير الكتب والمراجع الفارسية والإسلامية بجامعة كاليفورنيا في بروكلين

٦- السيد الدكتور/ نريمان يلدأ

خبير الإدارة الحكومية في بروكلين

كما أننى وقتت في جولاتي البحثية خلال العام الدراسي (١٣٦٥-٦٦ هـ) (* لأن أستفيد استفادة كبيرة من كثير من المكتبات النافعة مثل المكتبة المركزية في جامعة كاليفورنيا في بروكلين والمكتبة المركزية في الجامعة الحكومية بسانفرانسيسكو ومكتبة معهد الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن والمكتبة القومية ببكين في الصين.

كما استفاد هذا البحث بشكل ملحوظ من المصادر القيمة الموجودة في المكتبات الإيرانية مثل مكتبة حرم القدس الرضوى بمشهد ومكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة مشهد ومكتبتي مجلس الشورى الإسلامى ومكتبة آية الله مرعش في قم، وانتهر الفرصة هنا وأتوجه بشكرى إلى جميع موظفى هذه المكتبات ومختصيها.

وأحب أن أنوه هنا إلى أن التواريخ المذكورة في الكتاب قد وردت بالتقويمين الهجرى القمري والميلادى، لكن التواريخ التى بدأت من ١٣٠١ والتى وردت بعدها كلمة «شمسى» قد ذكرت ومعها التاريخ الميلادى، كما أن الأسماء الأجنبية كتبت لأول مرة بالحروف الفارسية واللاتينية ثم إذا تكررت بعد ذلك تذكر بحروفها الفارسية وأكرر هنا أن ما تم جمعه في هذا البحث هو من نتاج مساعدات محبى الدراسات التاريخية، كما أنه من الواضح أن كل نقص وعيب وقصور يعود إلى كاتب هذه السطور.

عبد الهادى حازى

ذو الحجة ١٤٠٨ هـ

أغسطس ١٩٨٨م

تقديم (تصدير) (تمهيد):

مصطلح «الماسونية»

وحدود البحث وأفاقه.



منذ مدة طويلة وكلمة «الماسونية» معروفة في اللغة الفرنسية ولها شهرة كبيرة، ونفس الكلمة تقريباً تستخدم في اللغة الفارسية ولكنها تكتب (Franc-ma.com) ونفس هذه الكلمة تستخدم أحياناً في الفارسية مع قليل من التغيير والمعنى الأصلي لهذا المصطلح يمكن تفسيره بصور مختلفة فعلى سبيل المثال فإن الحرفي أو البناء الذي يعمل بشكل حر ويستخدم في عمله للحجارة المنحوتة أدوات حرفية مثل القنوم والشاكوش والبلطة والمسطرين يطلق عليه اسم «فريماسون» نظراً لأن مثل هذه الحجارة المنحوتة تسمى في اللغة الإنجليزية «فري ستون» (Freeston)^(١)، كما أنه من المحتمل أن هؤلاء الحرفيين قد أطلق عليهم اسم «الأحرار» (Free) نظراً لأنه في عصر حكم الأنظمة الإقطاعية في أوروبا كان هؤلاء الحرفيون أحراراً في عملهم يسافرون إلى أي مكان في بلادهم يكون في حاجة إلى خدماتهم ويعملون هناك^(٢):

ولأن هؤلاء الحرفيين كانوا على أهمية كبيرة من الناحية الصناعية والفنية والمجتمع في حاجة ماسة إليهم كانوا يرون أنه من الواجب عليهم أن يحافظوا على أسرار مهنتهم فيما بينهم وأن تكون لهم رموز وإشارات خاصة تشير كل منها إلى أهل حرفة معينة حيث انضموا إلى النقابات والاتحادات المهنية والعمالية التي كانت تتميز بالسرية والتخفي، وهذا النوع من النقابات والاتحادات الماسونية السابقة سمي بعد ذلك «بالماسونية العملية» (Operative Masonary) ومن الواضح أن هذا الأسلوب من الحديث يرتبط بمسيرة الأحداث التاريخية في القرون الوسطى، ولكن في القرون التالية أخذ البنائون والحرفيون الأحرار في نقل مكانتهم الاجتماعية في المحافل من الأقلية إلى الأكثرية بين الأغنياء وعلية القوم والعلماء والمفكرين، ومنذ ذلك للتاريخ بدأت المحافل «الماسونية النظرية» (Speculative Masonary) في الظهور.

وقد جعلت هذه الماسونية بأسلوبها الجديد عنواها العلانية ولكن كانت لها برامج وتحركات خفية وسرية ومازالت وحكمتها أهداف ومواثيق وعلامات ومراسم وآداب^(٣) يرى كثير من الكتاب أنها نبعت واستلهمت من جذور يهودية^(٤) وحول الجذور التاريخية للماسونية ظهرت حكايات وروايات كثيرة ومنها ما يربط هذه الجذور بمعبد سليمان وهندسة إقليدس، ولكن

التاريخ يثبت أن وجود هذه الحركات كنتاج لازدواجية الرؤية في الحضارة الغربية البرجوازية قد بدأ منذ عام ١٧١٧م ١١٣٠هـ، وكان الإنجليز هم الذين بدأوا ففي نفس العام اتحدت أربعة محافل إنجليزية وكونت فيما بينها محفلاً كبيراً (Grand Hodge) ازدادت أهميته وانتشاره يوماً بعد يوم (٥)، ومنذ بداية هذا التاريخ بدأت مسألة الماسونية ومعها الكثير من مصطلحاتها تظهر في الكثير من الكتابات الفارسية كما استخدمت كلمة «فراموش» في الفارسية بنفس المعنى فقد ذكرها ميرزا صالح الشيرازي الذي كان نفسه أحد الماسون في العشرينات من القرن التاسع عشر باسم «فراموشخانه» وظل الوضع هكذا حتى قام الماسوني الشهير الإيراني ميرزا ملكم خان ناظم الدولة بتأسيس محفل سرى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وأطلق على هذا المحفل اسم «فراموشخانه».

والسبب في استخدام كلمة «فراموش» للإشارة إلى المحافل السرية الماسونية في إيران تحدث عنه لأول مرة عبد اللطيف الشوشتري في سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م حيث كتب إن الهنود والمتحدثين بالفارسية في الهند يطلقون على هذه الجماعة اسم «فراموشي» ويضيف قائلاً إن هذا الاسم لا يخلو من طرافة لأن من ينتسبون لهذه الجماعة كلما سئلوا عن شيء أجابوا بقولهم «لقد نسيتنا» (٦).

وقد ظهرت في العقود التالية كتابات باللغة الفارسية حول مسيرة الماسونية وسوابقها التاريخية في إيران وكثير من دول العالم الأخرى (٧) ولكن يبدو أنه لم تظهر في اللغة الفارسية أبحاث وكتابات عن الحركات الماسونية في الدول الإسلامية الأخرى وخصائص وأسس هذه الحركات. ويجب أن نضيف هنا أنه على حد علمنا فإنه لم يظهر حتى الآن كتاب قائم على أسس بحثية حول الماسونية في العالم الإسلامي كله حتى باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية، ولهذا السبب فإننا ننوي في هذا البحث بعد إلقاء نظرة قصيرة على دوافع ظهور هذه الحركة السرية والكثير من أدوارها التاريخية في الدول الغربية أن نتحدث عن تاريخ الماسونية في إيران وتركيا والدول العربية والهند واندونيسيا ونحاول أن نبحث في التحركات الماسونية في علاقتها بمسيرة الأحداث والتغيرات الاجتماعية والسياسية لهذه الدول.

ببليوجرافيا البحث:

في الفصل الأول من هذا البحث سوف نتحدث عن صعوبات كتابة تاريخ الحركة الماسونية ولكن سوف يكون من المفيد أن نورد هنا بعض المعلومات عن الكتب التي أفدنا منها في هذا البحث.

فمنذ عدة سنوات كتبنا مقالة بعنوان (Framushkhana) (فراموشخانه) في الطبقة الثانية من (The Encyclopaedia of Islam) (دائرة المعارف الإسلامية).

حول مسيرة الماسونية في إيران منذ البداية حتى السنوات الأخيرة ونوردها هنا بترجمتها

الفارسية مع الزيادة والتنقيح ومن الواضح أنه بسبب ظهور كتابات كثيرة في العقود الأخيرة - رغم أنها غير دقيقة وبعيدة عن الأسس البحثية - فإن معلوماتنا حول الماسونية في إيران تعتبر أوسع بكثير بالقياس إلى ما نعرفه عن الماسونية في الدول الإسلامية الأخرى ولهذا السبب فإنه لتناول هذا الجانب من البحث كان علينا أن نستفيد من الكثير من المصادر الفريدة مثل مذكرات الماسونيين أنفسهم أو الوثائق المكتشفة حديثاً أو حتى تلك المعلومات التي ترد في أدب الرحلات والجولات التي يقوم بها الماسونيون.

أما فيما يتعلق بالكتب المتعلقة بالماسونية في الدول الإسلامية الأخرى فبالإضافة إلى الصعاب الموجودة في مجال البحث حول الماسونية فإننا لم نستطع أن نتوصل إلى كل هذه المصادر والكتابات التي ظهرت حتى الآن وأعلن عنها وأصبحت في متناول الجميع، ومع هذا كله فإن ما استطعنا أن نتحصل عليه خلال التردد على المكتبات المختلفة في إيران وأمريكا وإنجلترا والصين في هذا المجال قد ساعدنا بالقدر الذي نستطيع أن نعرف القراء بموضوع البحث إلى حد ما.

ويعتبر كتاب «تاريخ الماسونية العام» لمؤلفه جورجى زيدان والذي نشر لأول مرة في سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م أحد الكتب التي كانت دائماً موضع استفادة الباحثين عند تناول تاريخ الماسونية في العالم العربي وتركياً، وربما ترجع أهمية هذا الكتاب بشكل أكثر إلى أن مؤلفه نفسه كان ماسونياً وأن معلوماته جديرة بالإطلاع حتى لو لم تكتب بأسلوب جزل وعبارات سلسة، كما أن المؤلف نفسه كان يعيش في زمن حدثت فيه الكثير من الأحداث المرتبطة بالماسونية ونحن سوف نستفيد من هذا الكتاب في بحثنا هذا في أماكن كثيرة ومواقع مختلفة، ولكن من الواضح أن هذا الكتاب لم يتتبع تحركات وتطورات الماسونية وتفرعها حتى القرن العشرين وحتى الوقت الحالي، ولذلك فإن كتاب «الماسونية في الوطن العربي» للكاتب العراقي «نجدة فتحى صفوة» والكتاب الآخر لنفس المؤلف والذي كتبه باللغة الإنجليزية واللذين كتبا حول الماسونية في العالم العربي منذ نشأتها حتى اليوم وكذلك فصل من المجلد الثالث من كتاب «لمحات اجتماعية في تاريخ الطرق» للمؤلف على الوردى والذي تعرض فيه لموضوعات حول الماسونية في عدد من الدول العربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ومقالة لنداو (Landau) في الطبعة الثانية من «The Encyclopaedia of Islam» تحت عنوان «Farmasuniyya» والتي تحدث فيها عن الماسونية في الامبراطورية العثمانية - تركيا والعالم العربي - كل هذه الكتب قد ساعدت كاتب هذه السطور على أن ينظر للإطار العام لهذا البحث الذي بين يدي القارئ.

ولكن هذه الكتب والأبحاث قصيرة ومجملّة ومختصرة وتخلو من التحليل العميق حول الكثير من شخصيات وهيئات ومنظمات الماسونية وبالإضافة إلى هذا فإن كتابها لم يهتموا في تحقيقاتهم البحثية بجميع الأراضى الإسلامية بشكل كامل وشامل ولهذا فإننا لكى نتناول مسيرة

الحركات الماسونية في مجال أوسع وأرحب من العالم الإسلامي خلال القرنين الأخيرين فإننا سوف نستفيد من كتب ومقالات أخرى ومنها كتاب جولد (Gould) المشهور الذي ظل لأكثر من مائة عام موضعاً لاستفادة الخبراء والعلماء والباحثين حيث خصص جانب كبير منه لحركات الماسونية في مصر والهند، كما أن ما كتبه الماسوني الهندي المدعو جوبتا (Gupta) في تاريخ الماسونية في الهند قد أفادنا في بحثنا هذا كثيراً.

وكما نكرنا من قبل فإن هدفنا هو إظهار دور الماسونية في التغييرات الاجتماعية والسياسية، ولكن الكاتبين المذكورين بسبب ارتباطهما الشخصي والانتمائي لحركة الماسونية لم يهتموا بهذا الجانب كثيراً وحددا نفسيهما بشكل أكثر في تقرير الأحداث الداخلية المحفلية للمحافل الماسونية ولهذا فإننا لكي نتناول العلاقة بين هذه الأحداث الداخلية في المحافل والتغييرات الاجتماعية والسياسية فإننا سوف نستفيد من مصادر المعلومات الأخرى التي ظهرت حول الهند، وحول الماسونية في إندونيسيا وصل إلى أيدينا بحثان قيمان وهما نتاج أبحاث جادة مثابرة لكل من «وان در فيور» (Van der veer) وجين تيلر (Jean G. Taylor) وسوف نستفيد في الفصل التاسع من هذين البحثين بشكل واسع.

وللتعرف أكثر على الشخصيات والمنظمات الماسونية البارزة سواء في العالم العربي أو تركيا فإننا كنا في حاجة إلى معلومات أكثر وأوسع من تلك التي وردت في المراجع والكتابات التي نكرناها آنفاً. وهناك عدد كبير من الشخصيات البارزة والسياسيين والمفكرين والزعماء في البلاد الإسلامية سقطوا في مستنقع الماسونية لحسن الحظ استطعنا أن نحصل على معلومات عديدة حول النشاط الماسوني لكثيرين منهم وكانت أهم المعلومات جميعاً في هذا الشأن تلك التي حصلنا عليها من مجموعة المستندات والوثائق التي لم تنشر حول السيد جمال الدين المشهور بالأفغاني «مجموعة اسناد ومدارك جاب نشده دربارة سيد جمال الدين مشهور به افغانى»، والتي جمعت ونشرت بجهود كل من أصغر مهدوى وإيرج افشار. ويحوى هذا الكتاب كثيراً من الوثائق الخاصة بالنشاط الماسوني للسيد جمال الدين الأسد أبدي المشهور بالأفغاني والتي كتبت معظمها بخط الأفغاني نفسه وقد قمنا بتحقيقها وتحليلها في هذا البحث، كما استفدنا أيضاً في هذا الموضوع كتاب مذكرات حول جمال الدين الأفغاني «خاطرات سيد جمال الدين» تأليف محمد المخزومي الذي كان معاصراً للأفغاني ومغرمًا به على الرغم من أن هذا الكتاب لا يعتبر من أدق مصادر المعلومات حول الأفغاني، ويعتبر عبد الله ألبرت قنس زاده (A. A. Albert Kudsi-zadeh) من المتخصصين في حياة الأفغاني وأفكاره فقد قام بتأليف عدة أبحاث حول الأفغاني وأفكاره ونشاطه السياسي حتى رسالته التي تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه كانت في نفس الموضوع كما أنه قام بنشر مقالة قيمة قائمة على الوثائق المحققة حول علاقة الأفغاني بالماسونية والتي استطعنا أن نحصل على نسخة منها لنستفيد بها في هذا البحث ومما يذكر ان كثيرين من أتباع الأفغاني وأصدقائه قد انضموا إلى حلقة الماسونيين بتوجيه منه وكان

أشهرهم على الإطلاق الشيخ محمد عبده، وفي هذا الموضوع كانت مقالة تلميذه الشهير سيد محمد رشيد رضا والتي نشرها في مجلة المنار في سنة ١٩٠٥م/١٣٢٣هـ أكثر فائدة لنا في هذا الموضوع من أى مصدر آخر للمعلومات، وذلك لأن معظم ما قاله رشيد رضا في هذه المقالة يقوم على معلومات حصل عليها هو شخصياً من الشيخ محمد عبده، والجدير بالذكر أن السيد الأفغانى وأتباعه انضموا إلى جماعة الماسون في ذلك الوقت الذى راجت فيه بشدة سوق حركة الماسونية في مصر.

ولحسن الحظ فإن السيد لنداو قد ناقش في بحث منفصل طويل النشاط الماسونى لتلك الفترة الخاصة - من بداية حكم الخديو إسماعيل (١٨٧٩: ١٨٩٢م/١٢٨٠: ١٢٩٧هـ) حتى السنوات الأولى من حكم الخديو توفيق (١٨٧٩: ١٨٩٢م/١٢٩٧: ١٣١٠هـ) وهى نفس المقالة التى تحصلنا منها على معلومات كثيرة حول العلاقة القوية التى كانت تربط عبد الحليم باشا عم الخديو إسماعيل بالماسونية وتوسله بهذه الحركة في محاولته للاستيلاء على التاج والعرش من خديوى مصر.

وقد استفدنا من هذه المقالة التى تقوم على عدد كبير من المستندات والوثائق الفردية في مواضع كثيرة من هذا البحث ويعد الأمير عبد القادر الجزائري أيضاً أحد الوجوه والشخصيات البارزة في العالم العربى التى انضمت إلى دائرة الماسون حتى أن عدداً من الكتاب العرب والفرنسيين كتبوا أبحاثاً حول كيفية انضمامه للماسونية، ولحسن الحظ استطعنا أن نحصل على عدد من هذه الأبحاث ومنها كتابات محفوظ كداش (Mahfuud Kaddash)، كزاوية ياكونو (Xavier Yacono) ومارسيل اميريت (Marcel Emerit) واستفدنا منها في هذا البحث.

وعلى ما يبدو أن الماسونية في تركيا لم تلفت انتباه كثير من الباحثين ومع هذا فقد حصلنا على معلومات متفرقة مستقاة من أبحاث قام بها العلماء المتخصصون في الشؤون التركية (الدراسات التركية) مثل نيازي بركس (Miyozı Barks) وشريف ماردين (Serif Mardin) والمتخصصون الأجانب في الدراسات التركية أيضاً مثل برنارد لويس (Bernard Lewies) وفيروز أحمد وارنست رامسور (Ernest Ramsaur)، وعلى أساس هذه الأبحاث استطعنا أن نفحص الكثير من تقارير السفارة الإنجليزية في اسطنبول حول علاقة الثورة النيابية في تركيا «تركيا الفتاة» (تركان جوان) والتي حدثت في عام ١٩٠٨م/١٣٢٦هـ (٨).

وبشكل عام استفدنا من كل هذه الكتابات التى دارت مباشرة حول مسيرة النشاط الماسونى في جميع أنحاء العالم الإسلامى والتي نشرت في كثير من المصادر والمراجع الأخرى حتى نوضح للقراء تلك الخصائص التى تميز بها النشاط الماسونى في مسيرة الأحداث التاريخية.

هوامنل التمھید

- ١- William James Hagan, et al, «Freemasonry», EB, Vol ٩ (١٩٦١), P. ٧٣٢.
- ٢- E.L. Hawkins, «Freemasonry», Encyclopedia of Religion and Ethics, Vol ١١ (١٩٨١), P. ١١٩.
- ٣- Roy Baber Harris, «Freemasonry»,; ٧٣٦-٧٣٢. Hagan, «Freemasonry», pp ٩. United States, EB, Vol ٩ (١٩٦١), pp. ٧٣٧-٧٣٦.
- ٤- علی سبیل المثال انظر - مجهول المؤلف - جهان زیر سلطه صھیونیزم (تهران ١٣٦١ شمسی)؛ محمد عبد الله عنان، تاریخ الجمعیات السرية والحركات الهدامة الترجمة الفارسية لعلی هاشمی حاتری (تهران، ١٣٥٨ شمسی).
- ٥- «Hagan, «Freemasonry», Hawfis,» Freemasonry.
- ٦- میر عبد اللطیف خان شوشتری، تحفة العالم وذیل التحفة، به کوشش حمد موحد (تهران، ١٣٦٣ شمسی)، ص ٢٥٨.
- ٧- انظر ببلیوجرافیا البحث.
- ٨- لمعلومات أكثر حول مؤلفات ومقالات هؤلاء الكتاب أنظر خاتمة المؤلفین فی نهاية البحث.